إعداد : ياسر السيد

عبارة عن مبادئ وقواعد منظمة للسلوك الإنساني

أهمية الأخلاق .. في الإسلام

الأخلاق في الإسلام عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني ، والتي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على الوجه الأكمل والأتم ، ويتميز هذا النظام الإسلامي في الأخلاق بطابعين :

الأول : أنه ذو طابع إلهي، بمعنى أنه مراد الله سبحانه وتعالى .

الثاني : أنه ذو طابع إنساني، أي للإنسان مجهود ودخل في تحديد هذا النظام من الناحية العملية .

وهذا النظام هو نظام العمل من أجل الحياة الخيرية ، وهو طراز السلوك وطريقة التعامل مع النفس والله والمجتمع .

وهو نظام يتكامل فيه الجانب النظري مع الجانب العملي منه، وهو ليس جزءًا من النظام الإسلامي العام فقط ، بل هو جوهر الإسلام ولبه وروحه السارية في جميع نواحيه : إذ النظام الإسلامي – على وجه العموم –مبني على مبادئه الخلقية في الأساس ، بل إن الأخلاق هي جوهر الرسالات السماوية على الإطلاق. فالرسول صلى الله وسلم يقول : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » [رواه أحمد في مسنده] .

فالغرض من بعثته –صلى الله عليه وسلم – هو إتمام الأخلاق ، والعمل على تقويمها ، وإشاعة مكارمها ، بل الهدف من كل الرسالات هدف أخلاقي ، والدين نفسه هو حسن الخلق .

ولما للأخلاق من أهمية نجدها في جانب العقيدة حيث يربط الله سبحانه وتعالى ورسوله –صلى الله عليه وسلم – بين الإيمان وحسن الخلق ، ففي الحديث لما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم : أي المؤمنين أفضل إيمانا ؟ قال صلى الله عليه وسلم : «أحسنهم أخلاقا» [رواه الطبراني في الأوسط].

ثم إن الإسلام عدّ الإيمان برًا، فقال تعالى : (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ)(البقرة: 177)

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « البر حسن الخلق » [رواه مسلم]. والبر صفة للعمل الأخلاقي أو هو اسم جامع لأنواع الخير.

وكما نجد الصلة بين الأخلاق والإيمان ، نجدها كذلك بين الأخلاق والعبادة إذ إن العبادة روح أخلاقية في جوهرها؛ لأنها أداء للواجبات الإلهية. ونجدها في المعاملات – وهي الشق الثاني من الشريعة الإسلامية بصورة أكثر وضوحا .

وهكذا نرى أن الإسلام قد ارتبطت جوانبه برباط أخلاقي ، لتحقيق غاية أخلاقية، الأمر الذي يؤكد أن الأخلاق هي روح الإسلام ، وأن النظام التشريعي الإسلامي هو كيان مجسد لهذه الروح الأخلاقية .

الخلق نوعان

– خلق حسن : وهو الأدب والفضيلة، وتنتج عنه أقوال وأفعال جميلة عقلا وشرعا .

– خلق سيئ : وهو سوء الأدب والرذيلة، وتنتج عنه أقوال وأفعال قبيحة عقلا وشرعا.

وحسن الخلق من أكثر الوسائل وأفضلها إيصالا للمرء للفوز بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والظفر بقربه يوم القيامة حيث يقول : « إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا» [رواه الترمذي] .

الأخلاق والممارسة الإيمانية

إن الأخلاق في الإسلام لا تقوم على نظريات مذهبية ، ولا مصالح فردية ، ولا عوامل بيئية تتبدل وتتلون تبعا لها ، وإنما هي فيض من ينبوع الإيمان يشع نورها داخل النفس وخارجها ، فليست الأخلاق فضائل منفصلة ، وإنما هي حلقات متصلة في سلسلة واحدة ، عقيدته أخلاق ، وشريعته أخلاق ، لا يخرق المسلم إحداها إلا أحدث خرقا في إيمانه .. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن » [رواه البخاري].

وسئل صلى الله عليه وسلم : أيكذب المؤمن ؟ قال: (لا) ثم تلا قوله تعالى : (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) (النحل:105) .

فالأخلاق دليل الإسلام وترجمته العملية ، وكلما كان الإيمان قويا أثمر خلقا قويا.

دوام الأخلاق وثباتها

كما أن الأخلاق في الإسلام ليست لونا من الترف يمكن الاستغناء عنه عند اختلاف البيئة ، وليست ثوبًا يرتديه الإنسان لموقف ثم ينزعه متى يشاء ، بل إنها ثوابت شأنها شأن الأفلاك والمدارات التي تتحرك فيها الكواكب لا تت

بناء المسجد الأقصى

أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين « المسجد الاقصى » ، المسجد الاقصى من أهم المقدسات في حياة المسلمين ، وترجع قدسيته بأنه كان قبلة جميع أنبياء الله ، وكان قبلة المسلمين الاولى ، ومن المسجد الاقصى عرج الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الى السماء ، وبارك الله سبحانه وتعالى المسجد الاقصى وما حوله من المناطق : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ). وإذا أردنا معرفة اول من بنى المسجد الاقصى فاننا سنستدل عليه من الحديث النبوي الشريف : عن أبي ذر الغفاري – رضي الله تعالى عنه – قال : قلت: (يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلَ ؟ قَالَ : الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ ، قال : قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى ، قلت : كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا ؟ قال: أَرْبَعُونَ سَنَةً ، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ . (صحيح البخاري ، من وضع أساسات الكعبة هو آدم عليه السلام ، وذكر في الحديث أن بين بناء الكعبة والمسجد الاقصى فترة أربعين سنة ، أي من وضع أساسات الكعبة هو نفسه من بنى المسجد الاقصى (والله أعلم) . ومن الارجح أن بناء المسجد الاقصى في تلك الفترة كان يقتصر على وضع الحدود للمسجد ، وبناء السور الذي ما زال صامدا الى وقتنا الحالي ولم يطرأ عليه تغيير ، ومن بعض الاقاويل أن الذي بنى المسجد الاقصى هو نبي الله ابراهيم عليه السلام ، ويأتي بطلان هذه النظرية بأن سيدنا ابراهيم قام برفع قواعد المسجد الحرام التي وضعها آدم عليه السلام ، وليس هو من قام ببناء المسجد الحرام وبالتالي هو ليس من بنى المسجد الاقصى ، قال تعالى: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) البقرة 127–128 . ويظن البعض أن عبد الملك بن مروان هو من بنى المسجد الاقصى ، وهذه الظنون خاطئة ، فعبد الملك بن مروان هو من بنى قبة الصخرة وليس المسجد الاقصى ،وتعرض المسجد الاقصى للكثير من الحروب والاحتلال ، وندعو الله أن يحرره قريبا وأن يرزقنا زيارته والصلاة فيه.

حقوق الجار .. من منظور إسلامي

يعتبر التنوّع الحاصل في المجتمع البشري على الأرض نوعا فريدا من المجتمعات، إذ تقوم العلاقة فيه على أكثر من العلاقات الحيويّة الدائرة في مجتمعات الحيوان، والنبات إن صح أن نسميها مجتمعات على وجهها الذي نعرف، وكان من الواجبات التي يجب النظر فيها والبحث قديما وقبل قدوم الديانات بشكل عام هو العلاقة الضابطة، والرابطة للعلاقة بين البشر الفرد مع أخيه البشر الفرد، ثم مع المجتمع الكبير الذي يتصل به، فترتب على ذلك حقوق، وواجبات تغيّرت بتغيّر الأصول، وفهم الناس لمعطيات واقعهم، وتفاضلوا في ذلك، فمن المجتمعات من رأى بأهمية ضبط تلك العلاقات، ومنهم من تشدد في ذلك، ومنهم من تراخي فسقطت مجتمعاتهم، وهذا التقديم كان لا بد منه؛ لنفهم الحاجة الأساسية التي دعت الإسلام إلى تنظيم العلاقات البشرية، أو ما نسميه المعاملات بين البشر بشكل عام، والإنسان، وجاره بشكل خاص، وضع الإسلام قواعد واضحة للمعاملات بين البشر بشكل عام، والمسلمين بوجه الخصوص فيما بينهم، وكان من أهم القواعد التي رسم لنا معالمها حقوق الجار، ونقصد بالجار هنا: هو الذي استجار بحماك من ماله، ودمه، وعرضه، فستره واجب، ودفع مظلمته واجب، وإعانته على من ظلمه واجب، ويعرف في مجتمعنا اليوم الجار: بالذي يكون بيته قريبا من بيت الرجل الآخر فيسمى جارا، والمعنيان في الحقيقة لا يختلفان عن بعضهما البعض، فالمعنى الأول دلالة على أنهم أصبحا من نفس عصبة الدم يثوران لظلم بعضهما، ويدفعان السوء عن بعضهما ولعلنا تبينا أول المعنى من لغة العرب قبل أن يضعها الإسلام، وما هذا إلا حق يعرف اللغة لما قال الله: «خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» فكان من باب التقديم هو عرف اللغة العربية، وأهلها بأن هذه حقوق الجار على جاره. إنّ أوّل أمر عقده النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– في المدينة: هو بناء مسجد قباء، ثم قام بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ولمن يقرأ التاريخ جيدا يعلم أن المؤاخاة لم تكن بمعنى الإخوة الحقيقية وإنما كانت بناء مجتمع يقوم على الاستجارة بأن جاور كل مهاجر أنصاري في جنبه فأصبح حماية الأنصاري للمهاجر بحكم عرف اللغة واجبا، ودفاع المهاجر عن الأنصار واجب أيضا، فأصبح كما كان يقال كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا بذلكم الشكل الفريد، ومن الحقوق الظاهر للجار على جاره أن لا يملأ بطنا؛ وجاره جائع، ولا يسد عطشا؛ وجاره ظمئ، ولا ينام ليلة؛ وجاره يشد بعضه بعضا من برد ليل لا يطاق، ولا يسلمه، ولا يخذله، ولا يعتدي على عرضه بجوارحه، ولا يعتدي على ماله، ولا يعتدي بلسانه ويطول المقام في ما تحتويه الأخلاق السليمة، والفطر الحسنة في المعاملة والمعاشرة، ويستبينها صاحب نفس سليمة، لا سقيمة، ولا مريضة تعاني العجز والخلل، أخيرا: إنّ أهم ما يقوم على بناء اجتماع سليم قادر على النهوض بعقول وقلوب، واقتصاديّات سليمة يقوم أوّلا من حقّ بسيط كحق الجار على جاره، ولو أحسن كل واحد منا إلى من يجاوره على الأقل لذهب كل العنت، وذهب الحقد، والحسد إلى اللاعودة أبدا. يقول تعالى: «وإنْ استجارك أحد من المشركين فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه» فهذا مع المشركين فكيف بأخيك في الدين؟

الاغترار بالعلم آفة محفوفة بالمخاطر

موسى والخضر .. دروس وعبر

بدأت حكاية موسى عليه السلام مع الخضر عليهما السلام ، حينما كان عليه الصلاة والسلام يخطب يوماً في بني إسرائيل، فقام أحدهم سائلاً: هل على وجه الأرض أعلم منك؟ فقال موسى: لا، إتكاءً على ظنه أنه لا أحد أعلم منه، فعتب الله عليه في ذلك، لماذا لم يكل العلم إلى الله، وقال له: إنّ لي عبداً أعلم منك وإنّه في مجمع البحرين، وذكر له أن علامة مكانه هي فقد الحوت، فأخذ حوتاً معه في مكتل وسار هو وفتاه يوشع بن نون، وحكت لنا سورة الكهف كيف التقى مع العبد الصالح الخضر، إذ بدأت الحكاية في القرآن الكريم بعزم موسى عليه السلام على الرحلة إلى مجمع البحرين في طلب العلم ، كما قال تعالى : « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ».

ثم تتابعت الأحداث حيث نسيا الحوت وواصلا طريقهما، ثم تنبها لنسيانه فعادا، ولقي موسى عليه السلام الخضر عند مجمع البحرين، والخضر (و القول بنبوته قوي) عبد صالح وهبه الله نعمة عظيمة من العلم وفضلاً كبيراً: «فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا»، وتستمر القصة حين يعرض موسى عليه السلام على الخضر مرافقته لطلب العلم، والشرط بينهما، وما حصل أثناء هذه الرحلة من أحداث، في تسلسل قرآني جميل: « قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70)».

ثم انطلقا، وحصلت المواقف التي لم يصبر موسى عليها، وكان الختام حين افترقا، ليقدم المعلم للمتعلم تفسيراً لكل ما حصل، في دروس عظيمة ظلت خالدة تتلى: « قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا». ثم بدأ يشرح له: « أَمَّا السَّفِينَةُ » ! .

التأملات:

. العجب بالعلم مكمن الخطر. فعلى الإنسان ألا يعجب بعلمه أو يظنّ بنفسه وصول المنتهى. ويظهر ذلك في معاتبة الله تعالى لموسى عليه السلام بعد أن سئل عن أعلم الناس فنسب ذلك إلى نفسه، وهو درس لمن وراءه، أن لا يرى في نفسه إعجابا بعلمه أو فهمه أو تميزه، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وما أوتي الإنسان من العلم إلا قليلاً حتى لو كثر.

. تلحظ مسألة حب الاستطلاع واضحة جليّة، وتتمثل في ذهاب موسى عليه السلام وتساؤله عن الرجل الأعلم منه، لا لمجرد الرؤية، بل قرن ذلك بنية صحيحة وهي التعلم منه.

. الحرص على التعلم محمدة مهما بلغ شأو الإنسان العلمي وشأنه المعرفي، وهذا هو نهج الأنبياء ومن تبعهم من الصالحين والعلماء، فالعلم ميراث النبوة، ورفعة الشأن، وصلاح الأسس، حتى لو استغرق الأمر من الإنسان زمناً طويلاً يسعى به لتحقيق مرامه، ونيل أهدافه. ويظهر ذلك في قوله تعالى: (أو امضي حقبا).

. يتجلى الأدب الجميل .. أدب المتعلم مع المعلم: (على أن تعلمني). وفيه أيضا فائدة لطيفة، فالمتعلم له أن يبيّن حاله التي سيكون عليها مع معلمه، لينال رضاه عليه، وإقباله لتعليمه. ورغم أنّ المتعلم هنا أرفع قدراً بحكم النبوة والرسالة (باعتبار نبوة الخضر عليه السلام) ، إلا أنه يقدم عرضاً للمعلم كي تطيب نفسه بصحبته بشيئين:

أ. (ستجدني إن شاء الله صابرا)، أي صبر على التعلم مع تعليقه الصبر بالمشيئة.

ب. (لا أعصي لك أمراً)، وفيه تمام الامتثال والطاعة.

. على المعلم أن ينصح تلميذه غاية النصح، بتبيين حال العلم حتى لا يدخله فيما لا يطيقه من العلم: (قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا). مع تبيين السبب فيما يرده عنه أو يمنعه منه. وذلك في تبيين الخضر لموسى عليهما السلام: (وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا).

. من الأدب التربوي أيضاً ألاّ يتعجل التلميذ بسؤال معلمه حتى ينهي حديثه، فربما عرض الجواب في ثنايا الحديث، وذلك يؤخذ من قوله: (فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا)

7. يتعلم من القصة المبادرة إلى الإنكار في حال وقوع المنكر، فرغم أنّ موسى عليه السلام قد شرط للخضر ألاّ يسأله، إلا أنه أنكر عليه ما رأى ظاهره المنكر، وقد أنكر ناسياً الشرط في البداية حين خرق السفينة، إلا أنه لم يكن قد نسيه حين قتل الغلام، لكون المنكر عظيماً في نظره، (أخرقتها لتغرق أهلها) ، (لقد قتلت نفسا زكية بغير نفس).

8. للمعلم العتاب حين يخطئ تلميذه أو يجاوز: (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا). وعلى المتعلم الاعتذار: (قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا).

9. يجوز إتلاف بعض الشيء لإصلاح باقيه، أليست قاعدة عظيمة من قوله تعالى: (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا).

10. صلاح الأب ممتد الأثر ودائم النفع، إذ في الآية دعوة لأن يبدأ الآباء بتربية أنفسهم قبل تربية أبنائهم، فستكون الثمار يانعة وباقية. (وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا). حتى قال بعض المفسرين أنه الأب السابع للغلامين.